اسم المحاضرة : عقبات في طريق الدعوة .

اسم المحاضر : فضيلة الشيخ/ عائض القرني .

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

طريق الدعوة، طريق مليء بالعقبات، مفروش بالمخاطر والتضحيات؛ لأن الجزاء الجنة، وفي هذا الدرس بيان بعض عقبات الطريق الذي يسير عليه الداعية، وكيف يجتاز هذه العقبات، فالنبيﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وغيرهم من السلف كانت أمامهم عقبات في طريقهم في الدعوة لكنهم استعانوا بالله ﷻ فأعانهم عليها.

ما هي العقبات التي يواجهها الدعاة؟

العقبة الأولى : اتباع الهوى :

إن الهوى إله يعبد من دون الله، وما ترك الطريق المستقيم من تركه إلا لأنه اتبع هواه، وهواه إما أن يبقى ضالاً، أو شقياً أو تعيساً، أو يبقى مصاحباً لفاجر، أو عبداً لأغنية، أو متعلقاً بصورة، أو متلذذاً بفجور، أو منتكساً على عقبه، لا يعرف المسجد، ولا القرآن ولا الهداية، ولا طريق الجنة، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (٢٦) سورة ص، والهوى يغلب العقل، نعوذ بالله من اتباع الهوى، قال ﷻ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ (٢٨) سورة الكهف، وسبب نزول الآية عند المفسرين: أن الرسول ﷺ جاءه قوم من الكفار من عبدة الأوثان وشربة الخمر والزناة، أهل الدعارة والكبر، لابسي الذهب والحرير، قالوا: يا محمد، إن كنت تريد أن تدعونا، فأخرج هؤلاء المساكين والعبيد والفقراء من عندك، فإنا من علية القوم ولن نجلس مع هؤلاء، فهمّ ﷺ أن يخرجهم وكان منهم بلال وابن مسعود، وأمثالهم؛ فأنزل الله ﷻ قوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ (٢٨) سورة الكهف، فقال ﷺ: "بل أجلس معكم"، فجلس معهم ﷺ.

وصح أنه ﷺ أراد أن يكسب ود كبار قريش المترفين، وكان ابن أم مكتوم يريد أن يسأله مسألة، فأجلسه ﷺ، فجاء كبراء مكة فصد عنه ﷺ واستقبلهم واحتفى بهم؛ لأنه يريد أن يكسبهم، وأتى العتاب من الواحد الأحد: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ (١) سورة عبس، عبس محمد وتولى ﷺ لماذا تعبس وتتولى؟ ﴿أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ﴾ (٢) سورة عبس؛ لأنه فقير مسكين تعرض عنه؟ ألا تدري أنه يحمل قلباً سليماً يقول سيد رحمه الله في الظلال : أما تعرف أن هذا الرجل الأعمى سوف يكون منارة من منارات الأرض تستقبل نور السماء؟ وبالفعل أصبح هذا الأعمى منارة من منارات الأرض تستقبل نور السماء، حياً على الهواء مباشرة، وحضر معركة القادسية وقال: "احملوني أقاتل"، وقالوا: "أنت معذور لأنك أعمى"، قال: "والله الذي لا إله إلا هو لا أسمع قوله ﷻ: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ (٤١) سورة التوبة، وأتخلف" فحملوه وحمل الراية، وقتل في سبيل الله؛ هذا هو الأعمى.

أما الكبراء، فقتلوا في بدر إلى نار جهنم، إلى نار تلظى، وقدمهم ﷺ هدية وقرباناً إلى الواحد الأحد، قتلهم وقطع رؤوسهم؛ لأنهم ما عرفوا الهداية والنور.

العقبة الثانية : الكبر من المدعو :

الكبر من المدعو أعظم العقبات التي تواجه الدعاة وطلبة العلم، وكبر المدعو إما بمنصبه أو بماله أو بولده، وبعضهم يتكبر وهو على الحديدة والرصيف، لا يوجد لديه شيء وهو مع ذلك متكبر، ولذلك قال ﷺ في الصحيح: "ثلاثة لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: عائل مستكبر، وأشيمط زان، وملك كذاب" قال ابن تيمية : "إنما وصفهم رسول الهدى ﷺ بذلك؛ لأن الداعي عندهم ضعيف، ومع ذلك كذب هذا، وزنا هذا، وتكبر هذا".
إن الكبر هو الذي منع اليهود أن يدخلوا في الدين وكانوا يقولون: "الأنبياء منا"؛ مع أنهم يقرؤون في التوراة أنه سوف يبعث نبي من العرب اسمه أحمد: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٨٩) سورة البقرة.
قال الترمذي بسند صحيح وأصله في الصحيحين عن عبد الله بن سلام، قال:"دخل عليه الصلاة والسلام المدينة فانجفل الناس إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام، فكنت فيمن انجفل، فزاحمت حتى رأيت وجهه؛ فعلمت أنه ليس بوجه كذاب"، قال:"فتكلم فإذا هو يقول كلاماً ما سمع الناس بمثله، كلاماً مرتباً، كلاماً عميقاً أصيلاً يقول: يا أيها الناس، أفشوا السلام وأطعموا الطعام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام"، قال راوي الحديث عبد الله بن سلام :"فأتيت إلى الرسول عليه الصلاة والسلام وقلت: يا رسول الله، إني أسألك عن ثلاث لا يعلمها إلا نبي" هذه محاورة ساخنة حارة؛ لأن عبد الله بن سلام كان يقرأ التوراة، قال: "سل"، قال: "يا رسول الله، ما أول ما يأكل أهل الجنة؟ وما هي أول علامات الساعة؟ وكيف يشبه الولد أباه أو يشبه أمه؟" ما تفكر عليه الصلاة والسلام ولا تأمل، وإنما قال: "أول ما يأكل أهل الجنة زيادة كبد الحوت، قال: صدقت، قال: وأما أول علامات الساعة، فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، قال: صدقت، قال: وإذا سبق ماءُ الرجل نزع الولد إلى أبيه، وإذا سبق ماءُ المرأة نزع الولد إلى أمه، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله! إن اليهود قوم بهت -أي: يبهتون أهل زور- وإن علموا بإسلامي بهتوني، لكن أدخلني في هذه المشربة وراءك، وأغلق عليّ، واسألهم عني"، فأدخله عليه الصلاة والسلام وأتى المتكبرون الجبابرة فأجلسهم أمامه ثم قال: "كيف ابن سلام فيكم؟ - مادروا أنه في المشربة- قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، وحبرنا وابن حبرنا، وفقيهنا وابن فقيهنا، قال: أرأيتم إن أسلم؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، ففتح عليه الصلاة والسلام الباب فخرج ابن سلام يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقاموا ينفضون ثيابهم يقولون: شرنا وابن شرنا، وخبيثنا وابن خبيثنا" ثم فروا.

ولذلك بعض الأسر لا تستجيب لبعض الدعاة، يقول أحدهم: يأتي فلان يدعوني وهو أقل مني طبقة في المجتمع، يدعوني وهو فقير، يدعوني ولا منصب له، وما علم أن الدعوة ملك للجميع، ولذلك ما صد عن منهج الله شيء كالكبر.

العقبة الثالثة : كثرة أهل الباطل وقلة أهل الحق :

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (١٠٠) سورة المائدة، يقول ابن تيمية : "أهل الإسلام قليل في أهل العالم، وأهل السنة قليل في أهل الإسلام، ولذلك قال ﷻ : ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (١١٦) سورة الأنعام".

نزل عمر ﷺ إلى السوق، فسمع أعرابياً مسلماً يقول: "اللهم اجعلني من عبادك القليل"، فأخذ عمر بمنكبه وقال: "ما هذا الدعاء؟" قال: "يقول ﷻ : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (١٣) سورة سبأ، فدعوت الله أن أكون من هذا القليل"، فقال عمر : "كل الناس أفقه منك يا عمر"، فالقليل دائماً هو الخير، ولذلك ليفهم الدعاة وطلبة العلم قضيتين اثنتين، ومن أكبر القضايا:

القضية الأولى:

لا يمكن أن يكون أهل الحق أكثر من أهل الباطل ولن تجد هذا أبداً، فتجد في المسرحية وحفل الأغنية جماهير مجمهرة، نعم قد يحضر بعض المحاضرات -إذا كثروا- خمسة آلاف وستة آلاف، ولكن يحضر حفل الأغنية ستون ألفاً، فأهل الباطل أكثر؛ وهذه قاعدة وكأن من سنن الله في الكون أنهم أكثر من أهل الحق.

القضية الثانية:

لا تحمل الدعاة رؤيتهم كثرة أهل الباطل لأن يتكاسلوا، ويقولوا: مادام الناس قد فسدوا، فلا فائدة في دعوتنا، لا، ادع، وإن لم يستجب أحد، وأجرك على الله قال ﷻ: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ (٤٨) سورة الشورى، دعا نوح عليه السلام وما استجاب له إلا قليل، وبعض الأنبياء ما استجاب له أحد، ولكن أجرهم عند الواحد الأحد، فادع وما عليك، وأجرك على الله، قال ﷻ: ﴿قُل لَّا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (١٠٠) سورة المائدة، فكثرة أهل الباطل من عقبات هذه الدعوة.

العقبة الرابعة : جلساء السوء :

جلساء السوء هم الذين أفسدوا القلوب، وصرفوا الأرواح، ووقفوا حجر عثرة في الطريق، قال ابن القيم : "وهل أشأم على أبي طالب في دعوة رسول الله عليه الصلاة والسلام من جليس السوء؟" وفي الصحيحين : لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل ﷺ وهو في سكرات الموت، ولو لم يكن معه جليس سيئ، لنفذ عليه الصلاة والسلام إلى قلبه، فهل تدرون من كان عنده؟ كان عند رأسه عبد الله بن أبي أمية وعند أرجله أبو جهل، فهم يلاحقونه في سكرات الموت، ليموت على الكفر، فجلس عليه الصلاة والسلام في مكان بعيد، وود أن يقوم عبد الله بن أبي أمية ليجلس عند رأس عمه، فقام عبد الله بن أبي أمية ، فأسرع أبو جهل حتى جلس عند رأسه، فما أشد حرصه على الشر! فلما جلس قام عليه الصلاة والسلام من مكانه وهو بعيد، وقال:"يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله" فأراد أن يقولها، وأراد أن يحرك لسانه ولو فعل لنجاه الله في الدنيا والآخرة، فقال أبو جهل: "أترغب عن ملة عبد المطلب؟" فقال أبو طالب: "هو على ملة عبد المطلب" فمات إلى نار جهنم.

تصنيف ابن القيم للجلساء :

جليس كالهواء دائماً معك، لا تمله وهو طالب العلم وهو الذي تحبه في الله، وهو الذي تأنس بحديثه، وهو الذي يدعوك إلى الذكر، ويحبب إليك الرسالة، ويدعوك إلى الجنة، وإلى التوبة والاستغفار، وجليسٌ كالغذاء تحتاجه أحياناً ولا تحتاجه أحياناً، وجليسٌ كالدواء تحتاج إليه نادراً،

وهؤلاء مثل صاحب المغسلة، تذهب بثوبك إليه، وكاوي الثوب، وصاحب المكتبة، وأمثالهم كثير، وقسم داء عضال وسم زعاف، وموت، وهم أهل البدع والكفر، والعياذ بالله.
لذلك إذا دعوت رجلاً ولم يتأثر بقولك ورأيته دائماً في المعاصي؛ فاعرف أن له قريناً وشيطاناً من شياطين الإنس يجلس معه ويخلو به، وهذا الذي يدمر عليك دعوتك؛ لأنك تبني في الصباح وهم يهدمون في المساء.

الدعوة في القرآن على قسمين :

ذكر الله ﷻ الدعوة في القرآن سلباً وإيجاباً، فالإيجاب مدح الدعاة وحثهم على الدعوة، قال ﷻ: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١٢٥) سورة النحل، وقال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ (٣٣) سورة فصلت، فادعُ إلى الله وتكلم وتحدث وانزع الوسوسة عنك، وقال عن السلب وهو الإنكار على من كتم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (١٥٩-١٦٠) سورة البقرة، وصح عنه ﷺ أنه قال: "من كتم علماً، ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة"، ويقول ﷺ: "نضر الله امرأً سمع مني مقالة فوعاها، فأداها كما سمعها، فرب مبلغ أوعى من سامع" نَضَّر أي: جعل على وجهه بهاءً ونضرة وجمالاً.

العقبة الخامسة : فتور الداعية :

فتور الدعاة أمر عجيب؛ ولذلك قال ﷻ: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾ (١٨٧) سورة آل عمران، وفتور الداعية يأتي بمقالة تقول للداعية: لا تدعُ وأنت شاب، ما زلت صغيراً! يريدونه أن يبلغ السبعين ثم يموت من غير أن يكون له تأثير، والذي لا يستغل عمره من أوله لا يصلح في آخره، قال أبو مسلم الخراساني : من أراد شيئاً فعليه بالشباب، وهل كان دعاة الإسلام إلا شباباً؟ وهل كان علماء الصحابة إلا شباباً؟ وهل الدعوة إلا شابة؟ عليه أن يروض نفسه من الآن، وليس غداً، وهذه الشبهة تجدها كثيراً في المجالس يقولون: نرى أن يبقى الإنسان ولا يتصدر حتى يكبر، وأقول: في هذا تفصيل، أما التصدر للفتيا فأقول: أنا معكم، فلا تفتوا، أما الدعوة، فكما قال ﷺ: "بلغوا عني ولو آية".

العقبة السادسة : انصراف الناس إلى الدنيا :

انصراف الناس إلى الدنيا على حساب الدين، فأكثر الناس إنما يهتم بالدنيا، أما الدين فإنه في آخر المطاف، فتجد الواحد منهم ينهي أعماله وأشغاله ومتطلباته وحاجياته، ثم يلتفت إلى الصلاة والتفقه في الدين، وفي آخر برنامجه وجدوله القراءة في المصحف إن بقي وقت، لكن الخروج إلى السوق أو المستشفى أو زيارة الأقارب أو النزهة أو النوم كلها أولويات عنده، ولذلك ترى هذا الصنف يعيش على هامش الأحداث، أما الاشتغال بالدنيا فيقول ﷻ: ﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (٤٤) سورة الفرقان، وفي الحديث: "إن الدنيا يعطيها الله من يحب ومن لا يحب، وإن الدين لا يعطيه الله إلا من يحب".
أمر الدنيا سهل؛ بل إن حاجيات الإنسان الكمالية أمرها سهل، ولذلك تجد كثيراً من المعرضين والمفرطين في تقوى الله، والمفرطين في طلب العلم، والمفرطين في حفظ الوقت، تجد أحدهم

يستغرق الساعات الطويلة في لباسه، وساعة وهو يمشط رأسه، وساعة وهو أمام المرآة، وساعة وهو يلبس اللباس، وساعة وهو يكوي الغترة، وساعة يتطيب وهكذا، وأكثر ما جعل الناس يعرضون عن المحاضرات والدروس والدعوة والتفقه في القرآن والسنة اشتغالهم بالدنيا، تجد بعضهم يحسن قيادة السيارة، لكن لا يحفظ الفاتحة جيداً، ولا يعرف سجود السهو، بعضهم يبني القصور ويشق الأنفاق، ويمد الجسور، وهو متخصص في علم الآلات، ولكنه لا يعرف من الدعوة ولا من الرسالة ولا من السنة شيئاً، فهو مغبون قال ﷻ: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨) سورة يونس.

أسأل الله لي ولكم التوفيق والهداية والسداد، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

.....